نـظراتٌ عقدية في حديث ((كُلُّ مَولُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطرَةِ))

د . طه خالد محمد عرب

كلية التربية – جامعة سامراء

an introduction

After Hamad Allah, and peace and blessings on Muhammad Nabiyh pleased with the Rightly his family and his friends say:

We believe in Allah Karim and certified as Almighty God says:)oaz taking the Lord of the sons of Adam, from their backs their descendants and Ohhdhm themselves not your Lord said Yes, we have seen that you say the Day of Judgment, we were on this oblivious ((), it is the Almighty created them and speak them and took them Testament and thus Aftarham on pure instinct and found themselves in harmony with it do not find themselves in unusual ones .. that sense that the least we express it as a state of purity, whether expressed that state polls a or safety and preparedness to accept the knowledge or Islam or approval Balraboubih or otherwise as will come in sounding this search .

The irony of these faces of encroachment that where what sustains the evidence of the Koran, which obviates the establishment of proof as described by Hojjat Al-Ghazali (), man has found the sweetness of faith after what is known as a religion of God values .. Like the injury mild colic, nor knows Vtdtrb conditions of not knowing why, he needs medication innately, what if abused even Estelz sweetness of healing and cooler safety of colic, Fterah enjoy happily rest lost case of colic, and all that happened he does not know .. as well as the religion of Allah values .. informed many times people from the west converted to Islam and took

Islam as a religion, and expressed their feelings after entering into Islam and the application of the rules of something they were not alive at all, as if they now have aired spirit in them.

What we are dealing with nice views of the Sunnah, and an overview of its light fragrance from which we learn the meaning of ((instinct)) What is it? And how scientists view of Islam and his nobles to their meaning? And from him we will know a lot of conclusions that give a shadow on the words of the Prophet, peace be upon him: ((Every child is born on instinct ... etc)) nodosum study in the limits of a statement that has to do with faith, even from one side.

:(I called the views of the modern ((Every child is born on instinct)) nodosum study)

And made the introduction, two sections, and a conclusion.

In detail:

- Introduction .

- Section One: Definition of instinct and her novel.

And the two demands:

- The first requirement: the instinct in the language and terminology.
- The second requirement: a modern novels instinct.

- The second topic: the meanings of instinct.

And the six demands:

- The first requirement: the instinct is Islam.
- The second requirement: the beginning.
- Third requirement: its purpose of procreation (safety).
- Fourth requirement: Aftarham denial, knowledge and infidelity and faith.
- demand V: recognition Balraboubih.

- demand VI said Mohammed bin Hassan Abu Hanifa His mercy of God.
- requirement seventh: Stop and delegation is the instinct to the Almighty.

- And the conclusion.

المقدمة :

بعد حمد الله ، والصلاة والسلام على نبيه محمد والترضي على آله وأصحابه أقول:

آمنَّا بالله الكريم وصدق الله العظيم إذْ يقول : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾[١]، فإنه تعالى خلقهم وأنطق نفوسهم وأخذ عليهم العهد وبالتالي فَطَرَهم على فطرة نقية وجدوا أنفسهم منسجمين معها لا يجدون في أنفسهم غرابةً منها .. تلك الفطرة التي أقل ما نُعَبِّر عنه بأنها حالة من النقاء سواء عَبَّروا عن تلك الحالة بالابتداء أو السلامة والتهيؤ لقبول المعارف أو الإسلام أو الإقرار بالربوبية أو غير ذلك كما سيأتي في سبر هذا البحث .

والعجيب من هذه الوجوه للفطرة أن فيها ما يُعضِّد شواهدَ القرآن مما يغني عن إقامة البرهان كما وصفه حجة الإسلام أبي حامد الغزالي[٢] ، فقد وجد الإنسان حلاوة الإيمان بعد ما عَرَفَ أنه دين الله القيم .. شأنُهُ في ذلك شأنُ مَنْ أصابهُ مَغْصٌ خفيف ، ولا يعلم فتضطربُ أحواله ولا يعرف السبب، فهو بحاجة الى الدواء بالفطرة ، فما إن يتعاطاه حتى يستلذ بحلاوة الشفاء وبرودة السلامة من المغص ، فتراه ينعم بسعادة الراحة التي فقدها حال المغص، وكلُ ذلك حصل وهو لا يدري .. وكذا دينُ الله القيم .. فقد اطلعنا مرات عديدة على أُناسٍ من الغرب أَسْلَموا واتخذوا الإسلام دينا ، وعبروا عن مشاعرهم بعد الدخول في الاسلام وتطبيقِ شيئٍ من قواعده بأَنهم لم يكونوا أحياء أصلاً ، وكأَنَّهم الآن قد بُثَّت الروحُ فيهم .

ما نحنُ بصدده إطلالة من طيف السنة النبوية ، ولمحةٌ من نورها العطر نطلع من خلاله على معنى ((الفطرة)) ما هي ؟ و كيف نظر علماء الإسلام وعظماؤه الى معناها ؟ ومنه سنعلم الكثير من الاستنتاجات التي تضفي بظلالها على قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((كل مولودٍ يولَدُ على الفطرة ...الخ)) دراسةً عَقْديةً في حدودِ بيان ما له علاقة بالعقيدة ولو من وجهٍ واحد .

أسمَيتُه :(إِطْلَالَةٌ عَلَى حَدِيْثِ ((كُلُّ مَوْلُوْدٍ يُوْلَدُ عَلَى الفِطْرَةِ)) دِرَاسَةً عَقْدِيَّة)

وجعلتُهُ على مقدمة ، ومبحثين ، وخاتمة.

وتفصيلاً :

المبحث الأول : تعريف الفطرة وروايتها .

المطلب الأول : الفطرة في اللغة والاصطلاح .

أولاً :الفطرة لغة:

مأخوذة من مادة فَطَرَ، وتأتي بمعنى الشق، يقال: فطره؛ أي شقه، وتَفَطَّرَ الشيءُ: انشق، وكذلك انفطر.

وتأتي بمعنى الخلق، يقال: فطر الله الخلق؛ أي خلقهم وأنشأهم .

والفطرة: الابتداء والاختراع والخلقة، وفي التنزيل: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [٣] .والفطرة الخلقة التي يخلق عليها المولود في بطن أمه. [٤]

والفطور – بفتح الفاء – هو ما يفطر عليه الصائم، وبضم الفاء مصدر، والفطرة – بكسر الفاء جاءت بمعنى صدقة الفطر أيضا، وأفطر الصائم: أي حان له أن يفطر ودخل وقته، كما يقال أصبح وأمسى: إذا دخل في وقت الصباح والمساء، فالهمزة للصيرورة . [٥]

ثانياً : الفطرة في اصطلاح علماء الشريعة. [٦]

اختلف العلماء في تحديد المراد منها ، ويظهر ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٧) .

وكذلك في حديث الفطرة المشهور الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء ؟) ثم يقول أبو هريرة واقرؤوا إن شئتم ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [٨] .

تعددتْ آراء العلماء في مفهومها وسيأتي أن منهم من قال هي الإسلام ، أو البداءة ، او الخِلْقة (السلامة) ، وغير ذلك مما سيظهر في المبحث الثاني إن شاء الله تعالى .

المطلب الثاني : رواية حديث الفطرة .

وأعني به حديثَ الفطرة المشهور الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة

جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء ؟) ثم يقول أبو هريرة واقرؤوا إن شئتم ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [٩] .

وقد ورد الحديث بألفاظ وأسانيد مختلفة، وورد ما يشبه ألفاظ الحديث عن غير أبي هريرة ﷺ وغيره من الصحابة ﷺ في مناسبات مختلفة. لكن أشهرها حديث أبي هريرةﷺ المتقدم والذي هو عمدة المبحث ، وإليكم المختلف من روايته :

١– ففي الحميدي زيادة على حديث أب هريرة قال : وزاد أبو الزناد: " ويمجسانه ويشركانه "(١٠) .

٢– وفي مصنف عبد الرزاق عن معمر، عمن، سمع الحسن يقول: بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية إلى خيبر فأفضى القتل إلى الذرية، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ما يحملكم على قتل الذرية؟» قالوا: أو ليسوا أولاد المشركين؟ قال: «أو ليس خياركم أولاد المشركين؟» قال: ثم خطبنا، فقال: «ألا كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه» [١١].

وفي مسند احمد : " فإذا أعرب عنه لسانه، إما شاكرا، وإما كفورا " [١٢]. وغير ذلك .

المبحث الثاني : معاني الفطرة.

تعددتْ آراء العلماء في مفهومها ، وكل فريق منهم يستدل فيما ذهب إليه بأدلة حتى طال الجدال فيها أشار الى ذلك الإمام ابن عبد البر حيث قال : " الفطرة المذكورة في هذا الحديث اختلف العلماء فيها واضطربوا في معناها، وذهبوا في ذلك مذاهب متباينة، ونزعت كل فرقة منهم في ذلك بظاهر آية، ونص سنة " [١٣].

وإليكَ أقوال العلماء في تحديد مفهوم الفطرة على ما يأتي في المطالب .

المطلب الأول : الفطرة هي الإسلام .

أولاً : القائل به الجمهور ، وذكر ابن عبد البر أن فيه إجماعاً حيث قال : " وهو المعروف عند عامة السلف من أهل العلم بالتأويل[١٤]، قد أجمعوا في قول الله عز وجل﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ على أن قالوا ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ﴾ دين الله الإسلام " . [١٥]

ثانياً : حجتُهم

١. قولُ أبي هريرة ﷺ راوي الحديث نفسه . في هذا الحديث . أي حديث(كل مولود يولد على الفطرة) ثم قال بعد أن روى الحديث: اقرءوا إن شئتم:﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، أي أنه يعني بها: الإسلام.

٢. وحديثُ عياض بن حمار المجاشعي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال للناس يوما:(ألا أحدثكم بما حدثني الله في الكتاب: إن الله خلق آدم وبنيه حنفاء مسلمين)[١٦] أي من أصل خِلْقَتهم خُلِقوا مسلمين ، وهووجه الدلالة بهذا الحديث .

٣. وحديثُ (خمس من الفطرة)[١٧] فذكر منهن قص الشارب، والاختتان، وهي من سنن الإسلام. [١٨]

ووجه الاستدلال بالحديث : أن هذه الأشياء هي من شرائع المسلمين التي تميزوا بها عن غيرهم، فكأنه قال عليه الصلاة والسلام: خمس من الإسلام، أو من السنة على إختلاف بين العلماء، قال ابن حجر: " والمراد بالفطرة في حديث الباب أن هذه الأشياء إذا فعلت اتصف فاعلها بالفطرة التي فطر الله العباد عليها، وحثهم عليها واستحبها لهم، ليكونوا على أكمل الصفات وأشرفها صورة " [١٩].

٤. ما ورد عن بعض كبار التابعين[٢٠] من الآثار التي تفيد بهذا القول عند تفسيرهم لقول الله عزو جل ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قالوا: دين الله الإسلام. ﴿ لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ قالوا: لدين الله.

٥. وعَضَّدَ أصحابُ هذا القول رأيَهم بما يؤيده من الشعر، بقول الشاعر – وهو الراعي النمير(٢١) :

أَخَليفَةَ الرَّحمانِ إنَّا مَعْشَرٌ ... حُنَفاءَ نَسجُدُ بُكْرَةً وأَصيلاً

عَربٌ نَرى للهِ في أَمْوَالِنا ... حقَ الزَّكاةِ مُنزَّلاً تَنزيلاً[٢٢]

فهذا قد وصف الحنيفية بالإسلام وهو أمر واضح لا خفاء به . [٢٣]

ثالثاً : مناقشة هذا القول .

١- **نُوْقِشَ هذا القول** بمعارضة أدلته في استلزامها كون الفطرة هي الإسلام بوجوه :

أ- الفطرة المذكورة ليست الإسلام ؛ لأن الإسلام والإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، وهذا معدوم من الطفل ، وكل ماهو معدوم من الطفل يستحيل أن يوصف به قطعا .. فلا تكون الفطرة حينئذٍ الإسلام ، ولا يجهل بذلك ذو عقل.

علاوةً على أن لفظ " الفطرة " له معان ووجوه متعددة في كلام العرب ، فلا حجر في حصره في معنى واحد..وهذا الوجه نقله ابنُ عبد البر في التمهيد. [٢٤]

ب- إن الفطرة لو كانت الإسلام لوجب عدمُ التوارث بين الصبي وأبويه الكافرين.

دليل الملازمة : أن الصبي مسلم وهما كافران ؛ وإختلاف الدين يمنع التوارث ، والحال أنه يرثهما ، فلا يُحكَمُ بإسلامِهِ بالفطرة ، فلا تكون الإسلام كما أشار إليه القاضي أبو يعلى[٢٥].

ت- أن الفطرة لو كانت الإسلام لوجب ألا يصح استرقاقه، ولا يصح إسلامه بإسلام أبيه لأنه مسلم ، والحال عكس ذلك ، فلا تكون الفطرة الاسلام .

ويمكن الجواب على وجوه المعارضة :

أ- بأن من يذهب الى أن الفطرة هي الإسلام لا يقول بهذا القول الذي نقله ابن عبد البر وأبو يعلى ؛ لبداهة الفرق بين الإسلام الفطري ، و الإسلام الشرعي ؛ إذ الإسلام الشرعي مايحصل به التكليف ، وهو ما بعد دعوة الأنبياء والمرسلين وقيام الحجة بهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[٢٦] ولأجل ذلك قال البغوي[٢٧] رحمه الله : " ولكن لا عبرة بالإيمان الفطري في أحكام الدنيا، وإنما يعتبر الإيمان الشرعي المأمور به المكتسب بالإرادة والفعل ؛ ألا ترى أنه يقول: فأبواه يهودانه ؟ فهو مع وجود الإيمان الفطري فيه محكوم له بحكم أبويه الكافرين وهذا معنى قوله ﷺ : (يقول الله تعالى إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم) " [٢٨].

ب- وكذلك قولهم في الأطفال فإنهم لا يقولون إنهم حين الولادة يعقلون هذا الدين، أو أنهم يعرفون أحكامه كحال البالغين.

فإذا تحرر أن المراد بالاسلام هو الفطري يظهر لنا جليا أن وجوه المعارضة غير لازمة .

٢-**و أيضاً نُوْقِشَ هذا القول** بمعارضة أخرى حاصلُها : أن القول بكون الفطرة هي الإسلام يستلزم أن لا يكون الكفر والمعصية حاصلين بقضاء الله ولا مخلوقين له تعالى، وكل ما كان كذلك لا ينبغي المصير إليه ؛ للزوم القول بأن يكونا مما أحدثه الناس، فكل مولود ولد على الفطرة إذا فُسِّر بالإسلام ؛ فإنه يلزم أن يكون كفرُهُ بعد ذلك مما صنعه والداه وأحدثاه .. وهو عين قول القدرية ، فلا يُصار إليه خشية الوقوع في ذلك كما أشار إليه الحافظ ابن حجر بأن سبب اختلاف العلماء في معنى الفطرة في هذا الحديث أن القدرية كانوا يحتجون به على أن الكفر والمعصية ليسا بقضاء الله ، بل مما ابتدأ الناس إحداثه فحاول جماعة من العلماء مخالفتهم بتأويل الفطرة على غير معنى الإسلام .. دفعا لذلك (٢٩).

ويمكن الجواب عن هذه المعارضة : بأنه يلزم ذلك لو لم نلاحظ تقدم علمِهِ تعالى لما كان وما يكون ، والحال أن القائلَ – أي من أهل الحق بأن الفطرة هي الإسلام – معترفٌ ومقرٌّ بأن علمه تعالى متقدمٌ بما كان وما يكون ، فيلزم أن يكون الكل بقضاءه وقدره لا مما أحدثه الناس .

يروي التأريخ لنا أن القدرية كانوا يحتجون بهذا الحديث على أصول مذهبهم الفاسد في القدر، بأن الكفر والمعاصي ليست مخلوقة لله ولا مقدرة من الله، بل هي مما أحدثه الناس، فكل مولود ولد على الفطرة . ويعنون بها الإسلام . وكفره بعد ذلك إنما حدث من الناس .

ولهذا لما قالوا للإمام مالك بن أنس . رحمه الله . : إن القدرية يحتجون علينا بأول الحديث فقال:احتجوا عليهم بآخره وهو قوله: (الله أعلم بما كانوا عاملين)[٣٠].

ووجه ذلك: أن أهل القدر استدلوا على أن الله فطر العباد على الإسلام، وأنه لا يضل أحدا، وإنما يضل الكافرَ أبواه، فأشار الإمام مالك رحمه الله إلى الرد عليهم بقوله(الله أعلم..) فهو دال على أنه ﷻ يعلم بما يصيرون إليه بعد إيجادهم على الفطرة. فهو دليل على تقدم العلم الذي ينكره غلاتهم، ومِنْ ثَمَّ قال الشافعي: " أهل القدر إن أثبتوا العلم خصموا " [٣١].

وقال ابن بطة[٣٢]: " .. وما أكثر من عشيت بصيرته عن فهم هذا الحديث، فتاه قلبه وتحير عقله، فضل و أضل به خلقا كثيرا، وذلك أنه يتأول الخبر على ما يحتمله عقله من ظاهره، فيظن أن معنى قول النبي إن(كل مولود يولد على الفطرة) أراد بذلك أن كل مولود يولد مسلما مؤمنا، وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ، فمن قال ذلك أو توهمه فقد أعظم الفرية على الله . عز وجل . وعلى رسوله، ورد القرآن والسنة، وخالف ما عليه المؤمنون من الأمة، وزعم أن اليهود والنصارى يضلون من هداه الله عز وجل من أولادهم، ويشقون من أسعده،

ويجعلون من أهل النار من خلقه الله للجنة، ويزعم أن مشيئة اليهود والنصارى والمجوس في أولادهم كانت أغلب، وإراداتهم أظهر وأقدر من مشيئة الله وإرادته وقدرته في أولادهم، حتى كان ما أرادته اليهود والنصارى والمجوس، ولم يكن ما أراده الله . تعالى عما تقوله القدرية المفترية على الله علوا كبيرا ... " [٣٣].

وكما نلاحظ في معرض رد ابن بطة على من يفسر الفطرة بالإسلام أنه يجعل هذا القول هو عين قول القدرية.

و المتأمل في قول السلف يرى بوناً شاسعاً بين قولهم وقول القدرية ، فلا يتأتى استبعاد هذا القول خشية الوقوع في ما ذهب إليه القدرية كما نلمسه من صنيع ابن بطة رحمه الله .

وبيان ذلك من وجهين :

الوجه الأول: من المعروف أن من أصول المعتزلة والقدرية أن الله تعالى لم يجعل أحداً مسلماً أو كافراً، وإنما هذا أحدث لنفسه الإيمان ، وذاك أحدث لنفسه الكفر، واعتبروا هذا من

العدل الذي يوصف به سبحانه، وأنه لا يليق بالله تعالى أن يخلق الكفر، أو أن يعطي الهدى أفراداً ويترك آخرين ؛ لأنه من الظلم المنزه عنه سبحانه، فيكون للمولود عندهم قدرة مماثلة تصلح للإيمان والكفر على السواء.

الوجه الثاني: أنهم يقولون: إن معرفة الله تعالى لا تحصل إلا بالنظر المشروط بالعقل؛ فيستحيل أن تكون المعرفة عندهم ضرورية، أو تكون من فعل الله تعالى.(٣٤)

وأما عند سلف الأمة فأن معرفة الله فطرية ضرورية. فبان بهذا الفارق بين قول المعتزلة، وقول أهل الحق من أهل السنة.

ويمكن الرد على القدرية فيقال:

أما آخر الحديث فهو دليل على أن الله تعالى يعلم ما يصيرون إليه بعد ولادتهم على الفطرة، هل يبقون عليها فيكونون مؤمنين ؟ أو يغيرونها فيصيرون كفارا ؟

وإن احتجت القدرية بقوله: (فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه) من جهة كونه أضاف التغيير إلى الأبوين، فيقال لهم: أنتم تقولون: إنه لا يقدر لا الله ولا أحد من مخلوقاته على أن يجعلهما يهوديين أو نصرانيين أو مجوسيين، بل هما فعلا بأنفسهما ذلك بلا قدرة من غيرهما، ولا فعل من غيرهما، فحينئذ لا حجة لكم في قوله:(فأبواه يهودانه).

وأهل السنة متفقون على: أن غير الله لا يقدر على جعل الهدى أو الضلال في قلب أحد، فقد اتفقت الأمة على أن المراد بذلك: دعوة الأبوين لهما إلى ذلك، وترغيبهما فيه، وتربيتهما عليه، ونحو ذلك مما يفعل المعلم والمربي مع من يعلمه ويربيه، وذكر الأبوين بناء على الغالب إذ لكل طفل أبوان، وإلا فقد يقع ذلك من أحد الأبوين، وقد يقع من غير الأبوين حقيقة وحكما. (٣٥)

فهذه أبرز الاعتراضات على تفسير الفطرة بالإسلام، وتبين ضعفها وأنه لا يمكن الاعتماد عليها في رد مَنْ ذهب إلى هذا المعنى.

المطلب الثاني : البداءة.

أولاً : القائل به الامام مالك وعبد الله بن المبارك رضي الله عنهما (٣٦).

ثانياً : حجتهم :

١. منها ما روي عن محمد بن كعب القرظي(٣٧) في قوله تعالى:﴿ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ، فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾(٣٨) .

وجه الاستدلال : أن من ابتدء الله خلقه للضلالة صَيَّرَهُ إلى الضلالة، وإنْ عمل بأعمال الهدى.. ومن ابتدء الله خلقه على الهدى صَيَّرَهُ إلى الهدى، وإنْ عمل بأعمال الضلالة .

مثل إبليس حيثُ ابتدأ اللهُ خلقه على الضلالة وعمل بأعمال السعادة مع الملائكة، ثم رده الله إلى ما ابتدأ عليه خلقه، قال: وكان من الكافرين .. كما نقله ابن عبد البر عن محمد بن كعب القرظي(٣٩) .

٢. ومنها : ما يؤيد هذا مرفوعا من حديث عائشة . رضي الله عنها . قالت: (دعي رسول الله ﷺ إلى جنازة غلام من الأنصار فقلت: يا رسول الله: طوبي لهذا عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل السوء ولم يدركه. قال: أو غير ذلك يا عائشة ! إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم)(٤٠).

وجه الاستدلال ظاهرٌ وهو نهيه لها عن أن تظن سلامة من مات صغيراً فدل ذلك النهي عن أن هناك تقديراً مسبق له .

٣. ومنها : حديث عبد الله بن عمرو . رضي الله عنهما . قال: (خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان ، فقال: أتدرون ما هذان الكتابان ؟ فقلنا: لا يا رسول الله، إلا أن تخبرنا. فقال: للذي في يده اليمنى: هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا. ثم قال للذي في شماله: هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا)(٤١).

وجه الاستدلال : أن قوله " لا يزاد فيهم ولا ينقص " دليل على أن مقاديرهم مسجلة ولا تبديل لها ، فمن سُجِّلَ شقيا فشقي آخر أمره .. ومن سُجِّلَ سعيداً ، فسعيدٌ آخرَ أمره... وهكذ ا فالأمر بحسب البداءة ، فالفطرة البداءة (٤٢) .

ثانياً : نوقشت هذه الأدلة بما يأتي :

١- لا يلزم أن يكون معنى قوله : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ أن يكون المآلُ قرينةَ الابتداء ؛ ليستدلَّ على أن الابتداء كان كما هو المآل ؛ لجواز كون معنى العود :

- الرد إلى علم الله تعالى .
- أو العود إلى يوم القيامة .
- أو عود الخلق أي إيجادهم كما خلقهم أوَّلَ مَرَّة(٤٣).

فكل هذه المعاني محتملة ووارادة والنص غير محصور في ما ذهبوا إليه من معنى البداءة .

٢- والجواب عن حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ما قالَهُ الامام النووي رحمه الله : " أجاب العلماء بأنه :

- لعله نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع كما أنكر على سعد بن أبي وقاص في قوله : (أعطه إني لأراه مؤمنا) قال : (أو مسلما ... الحديثَ)[٤٤].
- ويحتمل أنه ﷺ قال هذا قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة ، فلما علم قال ذلك في قوله ﷺ : (مَا مِنَ النَّاسِ مُسْلِمٌ، يَمُوتُ لَهُ ثَلاَثَةٌ مِنَ الوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ) [٤٥] ، وغير ذلك من الأحاديث، والله أعلم [٤٦].

٣- والجواب عن حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن قوله : " فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا" إن كان المراد به أم الكتاب وهو علم الله القديم ، فلا شك بتسليمه ، وإن أراد اللوح المحفوظ ؛ لأن الأشياء فيه قد تكون معلقة على أسباب يتغير بوجودها وفقدها .

وبهذا يظهر ضعف ما ذهب إليه البعض من أن الفطرة هي البداءة .

وسيأتي الفرق بين عقيدة أهل السنة في أن الكل مقدر في علم الله القديم وبين القول بأن الفطرة هي البداءة إن شاء الله تعالى .

المطلب الثالث : الخِلْقة (السلامة).

أولاً : مفادُهُ : التهيؤ والاستعداد بمعنى أن المراد بالفِطْرَةِ الْخِلْقَةُ فإن الفطر بمعنى الخَلْقِ، والمراد الخلقة المعروفة الأولى المخالفة لخلق البهائم أي على خِلْقَةٍ يَعْرِفُ بِهَا رَبَّهُ إذا بلغ مبلغ المعرفةِ.

ثانياً : القائل به ابن عبد البر رحمه الله [٤٧] .

ثالثاً : حجتُهم : أنه لا يمكن القول بأن يُفْطَر المولود على كفر أو إيمان، وإنما يعتقد ذلك بعد البلوغ إذا ميز. ولو فطر في أول أمره على شيء ما انتقل عنه ، وقد نجدهم يؤمنون ثم يكفرون، ومحال أن يعقل الطفل حال ولادته كفرا أو إيمانا، والله تعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [٤٨] ، فمن لا يعلم شيئا استحال منه الكفر والإيمان ، وهذا القول صححه ابن عبد البر[٤٩].

فمعنى قوله تعالى﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ أي خلقة الله. وهي شبيهة بمعنى قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[٥٠] يعني خالقهن وكذلك قوله ﴿ وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ [٥١] أي خلقني. هذا في الآية.

أما الحديث فقد شبهت ولادة المولود بولادة البهيمة، كما قال عليه الصلاة والسلام: (كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون...) . [٥٢]

(بهيمة جمعاء): أي لم يذهب من بدنها شيء، سميت بذلك لاجتماع أعضائها.

(هل تحسون فيها من جدعاء): وهو من الإحساس. والمراد به: العلم بالشيء، يريد أنها تولد لا جدع فيها، وإنما يجدعها أهلها بعد ذلك، والجدعاء هي مقطوعة الإذن للتمييز)[٥٣] .

فكذلك الطفل يولد سليما من جميع الاعتقادات الصحيحة والفاسدة، لا يعرف إيماناً ولا كفراً، ولا معرفة ولا إنكاراً، لأن الله أخرجهم في حال لا يفقهون معه شيئا قال تعالى ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٥٤].

وإن القلب لو فطر على شيء من ذلك ما انتقل عنه أبدا، والواقع غير ذلك، كما دل عليه لفظ الحديث (فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) [٥٥].

قال ابن عبد البر: " هذا القول أصح ما قيل في معنى الفطرة التي يولد الناس عليها والله أعلم . وذلك أن (الفطرة) السلامة والاستقامة، بدليل حديث عياض بن حمار عن النبي عليه السلام حاكيا عن ربه عز وجل(إني خلقت عبادي حنفاء) يعني: على استقامة وسلامة، والحنيف في كلام العرب المستقيم السالم، وإنما قيل للأعرج أحنف على جهة الفأل كما قيل للقفر مفازة، فكأنه والله أعلم أراد الذين خلصوا من الآفات كلها والزيادات ومن المعاصي والطاعات، فلا طاعة منهم ولا معصية إذ لم يعملوا بواحدة منهما...ولما أجمعوا على دفع القود والقصاص والحدود والآثام عنهم في دار الدنيا كانت الآخرة أولى بذلك والله أعلم " [٥٦].

رابعًا : ونوقش هذا القول بما يأتي :

١. الملاحظ أن هذا الفريق من العلماء لم يجعل المعنى الاصطلاحي للفطرة مبايناً للمعنى اللغوي وهو (الخلقة) كما فعل غيرهم في معنى لغوي آخر كـ(البداءة) كما مر معنا بدليل استشهادهم بالآيات التي تدل على هذا المعنى.

ثم إنهم أنكروا أن يكون المولود مفطوراًعلى كفر أو إيمان، أو معرفة أو إنكار ،ومقصودهم أن الطفل في أصل ولادته لا يميل إلى شيء أو لا يعرف شيئاً من الإيمان أو الكفر، بل يكون القلب كاللوح الذي يقبل كتابة الإيمان وكتابة الكفر، وليس هو لأحدهما أقبل منه للآخر، حتى إن بعض العلماء قد صرح بتساوي قبول واستعداد الفطرة للخير والشر.

قال الإمام الغزالي[٥٧]رحمه الله : " والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملك ولقبول آثار الشيطان، صلاحا متساويا ليس يترجح أحدهما على الآخر، وإنما يترجح أحد الجانبين باتباع الهوى والإكباب على الشهوات، أو الإعراض عنها ومخالفتها" [٥٨].

قال العلامة الزبيدي([٥٩]) في الإتحاف في قوله : (يولد على الفطرة) : " اللام للعهد والمعهود فطرة الله التي فطر الناس عليها أي الخلقة التي خلق الناس عليها من الاستعداد لقبول الدين والتهيؤ للتمييز بين الخطأ والصواب " [٦٠].

ولكن الناظر إلى حديث الفطرة يرى أن النبي ﷺ قد ذكر أن أسباب انحراف الفطرة وهي اليهودية والنصرانية والمجوسية ولم يذكر سبب صلاحها وهي الإسلام فكان ينبغي على ذلك القول بأن المولود يولد على السلامة فلا فرق عنده بين المعرفة والإنكار ولا أنه عنده الميل إلى أحدهما أن يقال إن أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ويسلمانه فلما لم يذكر الإسلام دل على أنه هو الأصل الذي يولد عليه المولود وهو الإسلام الفطري .

ثم إن النبيﷺ شبه الفطرة بالبهيمة المجتمعة الخلق التي تلد جميعا لا نقص فيها ثم يحدث لها النقص بالجدع للتمييز، فكذلك الفطرة يحدث النقص فيها بالتهويد والتنصير وأنه قبل الإنحراف كانت تستحق المدح والثناء وهي التي أمر الله بلزومها وعدم الميلان عنها فكيف يمدح الله شيئا ويأمر به إن لم يكن موجوداً ويحبه ويرتضيه ديناً لعباده وينهى عن مخالفته ؟

وعلى هذا القول ، فإنه حينئذ لا فرق بالنسبة إلى الفطرة بين المعرفة والإنكار، والتهويد والتنصير والإسلام، وإنما ذلك بحسب الأسباب فكان ينبغي أن يقال: فأبواه يسلمانه ويهودانه وينصرانه ويمجسانه، فلما ذكر أن أبويه يكفرانه، وذكر الملل الفاسدة دون الإسلام ،عُلِمَ أن حكمه في حصول ذلك بسبب منفصل غير حكم الكفر[٦١] .

٢. وإنه على هذا التقدير لا يكون في القلب سلامة ولا عطب، ولا استقامة ولا زيغ، إذ نسبته إلى كل منهما نسبة واحدة وليس هو بأحدهما بأولى منه بالآخر، كما أن اللوح قبل الكتابة لايثبت له حكم مدح ولا ذم، فما كان قابلاً للمدح والذم على السواء لم يستحق مدحاً ولا ذماً، والله تعالى يقول﴿: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ فأمره بلزوم فطرته التي فطر الناس عليها فكيف لا تكون ممدوحة ؟ [٦٢].

٣. وأيضا فإن النبي ﷺ شبهها بالبهيمة المجتمعة الخلق، وشبه ما طرأ عليها من الكفر بجدع الأنف والأذن، ومعلوم أن كمالهما محمود ونقصهما مذموم، فكيف تكون قبل النقص لا محمودة ولا مذمومة ؟)[٦٣] .

وبهذا يتبين ضعف هذا القول .

المطلب الرابع : فطرهم على الإنكار والمعرفة وعلى الكفر والإيمان .

أوّلاً : مفادُهُ : أن المولود حين الولادة إما مؤمناً عارفاً أو كافراً جاحداً، على القدر السابق يوم أخذ الله من ذراري بني آدم حيث إستخرجهم فقَبِلَ الميثاق طائفة طائعين وطائفة كارهين، فأهل السعادة قالوا بلى على معرفة له طوعاً من قلوبهم، وأما أهل الشقاء فقالوا بلى كرهاً لا طوعا .

ثانياً : القائل به إسحاق بن راهويه[٦٤] رحمه الله .

ثالثاً : حجتهم ما يأتي :

١- قوله ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾[٦٥].

٢- وقولُ أبي هريرة ﷺ اقرءوا إن شئتم﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾.

وجه الاستدلال : قال إسحاق: " يقول لا تبديل لخلقته التي جبل عليها ولد آدم كلهم، يعني: من الكفر والإيمان، والمعرفة والإنكار "(٦٦).

٣- وقولُ الله عز وجل﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدم مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية.

وجه الاستلال : قال إسحاق: " أجمع أهل العلم أنها الأرواح قبل الأجساد، استنطقهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا: بلى؛ فقال: انظروا ألا تقولوا إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم "(٦٧).

٤- وحديثُ أبي بن كعب ﷺ في قصة الغلام الذي قتله الخضر (عليه السلام) ، وفيه أن النبي ﷺ قال:(الغلام الذي قتله الخضر طبعه الله يوم طبعه كافرا)(٦٨).

وجه الاستدلال : قال إسحاق: " وكان الظاهر ما قال موسى ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً﴾(٦٩) فأعلم اللهُ الخضرَ ما كان الغلام عليه في الفطرة التي فطره عليها، لأنه كان قد طبع يوم طبع كافراً ... فلو ترك النبي عليه السلام الناس ولم يبين لهم حكم الأطفال لم يعرفوا المؤمنين منهم من الكافرين، لأنهم لا يدرون ما جبل كل واحد منهم عليه حين أخرج من ظهر آدم، فبين لهم ﷺ حكم الطفل في الدنيا فقال(أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه) يقول: أنتم لا تعرفون ما طبع عليه في الفطرة الأولى، ولكن حكم الطفل في الدنيا حكم أبويه، فاعرفوا ذلك بالأبوين. فمن كان صغيرا بين أبوين كافرين ألحق بحكمهما، ومن كان صغيرا بين أبوين مسلمين ألحق بحكمهما، وأما إيمان ذلك وكفره مما يصير إليه فعلم ذلك إلى الله، ويعلم ذلك فضل الخضر موسى، إذ أطلعه الله عليه في ذلك الغلام، وخصه بذلك العلم .

٤. وحديثُ عائشة رضي الله عنها حين مات صبي من الأنصار . وقد تقدم . قال إسحاق: فهذا الأصل الذي يعتمد عليه أهل العلم (٧٠).

والجواب عليه :

سأقف على الأدلة التي استدل بها إسحاق ليتبين مدى ضعف القول أو قوته :

١. أما قوله تعالى ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾(٧١) و أن ذراري بني آدم يوم أخذ الميثاق انقسموا إلى طائفة طائعين وطائفة كارهين .. فليس هذا قول أوحد ومرادٌ للآية على سبيل الإحكام ، فإن ثَمَّة أقوال كثيرة في تحرير مرادها ذكرها ابن جرير الطبري في تفسيره ، وأن لأهل التأويل في معنى إسلام الكاره أقوالاً :

منها : أن إسلام الكاره إقراره بأن الله خالقه وربه، وإن أشرك معه في العبادة غيره

ومنها : أن إسلام الكاره منهم كان حين أخذ منه الميثاق فأقر به.

ومنها : أن إسلام الكاره منهم سجود ظله .

وذكر أقوالا أخرى [٧٢] ، فليس معنى الآية محصوراً في ما حرروها به ، وإنما هذا الاستسلام حصل بعد خلقهم ووجودهم في الدنيا

وأن المراد بقوله تعالى ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ هو في الإسلام الموجود بعد خلقهم .. ولم يقل: إنهم حين العهد الأول أسلموا طوعا وكرها.

يدل على ذلك أن ذلك الإقرار الأول جعله الله حجة عليهم من عند من يثبته، ولو كان فيهم كاره لقال: لم أقل ذلك طوعا بل كرها، فلا تقوم عليه به حجة.

٢. وأما استدلال اسحاق بقوله تعالى ﴿لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ على أنه لا تبديل للخلقة التي جُبِلَ عليها بنو آدم من الإيمان أو الكفر ، فلا يُسَلَّم له في ذلك ؛ لأن حديث الفطرة يبين أنها تتغير بعد الولادة بفعل الأبوين وفرق بين التبديل والتغيير حيث أن نفي التبديل هو أنه لا يُخلقُ الخَلق على غير هذه الصفة أما تغييرها وتبديلها بعد الولادة فأمر ممكن وخصوصا أن النبي ﷺ شبه التغير هذا بالتغير الذي يحصل على البهائم التي تلد سليمة ثم تجدع أنوفها وأذانها بعد الولادة ، وقد قال تعالى عن الشيطان : ﴿ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾ [٧٣].

٣. وأما استشهاد إسحاق بقصة الغلام في أنه طُبِعَ يوم خلقه الله كافرا ويريد بذلك أنه ولد يوم ولد كافرا ، فيجاب عنه بجوابين :

أ– أن هذا خاص بهذا الغلام ، وهذا ماذهب إليه ابن عبد البر كما مرت الاشارة إليه.

قال: " وأما الغلام الذي قتله الخضر فأبواه مؤمنان لا شك في ذلك فإن كان طفلا ، ولم يكن – كما قال بعض أهل العلم – رجلا قاطعا للسبيل، فمعلوم أن شريعتنا وردت بأن كل أبوين مؤمنين لا يحكم لطفلهما الصغير بحال الكفر ولا يحل قتله بإجماعٍ، وكفى بهذا حجة في تخصيص غلام الخضر.

وقد أجمع المسلمون من أهل السنة وغيرهم إلا المُجْبِرَة[٧٤] أن أولاد المؤمنين في الجنة، فكيف يجوز الاحتجاج بقصة الغلام الذي قتله الخضر اليوم في هذا الباب [٧٥].

ب– أن معنى أنه خُلِقَ يوم خُلِقَ كافرا يحتمل أنه خُلقَ على أنه يختار الكفر ، فلا ينافي خبر (كل مولود يولد على الفطرة) إذ المراد بالفطرة استعداد قبول الإسلام وهو لا ينافي كونه شقيا في جبلته[٧٦] ، فالمراد به: كُتِبَ وخُتِمَ، وهذا من طبع الكتاب، وإلا فاستنطاقهم بقوله: ﴿ ألست بربكم قالوا بلى ﴾ ليس هو طبعا لهم، فإنه ليس بتقدير ولا خلق.

ولفظ (الطبع) لما كان يستعمله كثير من الناس في الطبيعة التي هي بمعنى الجِبِلَّة والخليقة ظن الظانُ أن هذا مراد الحديث. (٧٧)

إن اسحاق رحمه الله أراد أن يبين إن المولود يلحق بأبويه في الدنيا إن كانا كافرين فكافر وإن كانا مسلمين فمسلم من دون أن يكون لهما تأثير عليه وأن هذا هو تفسير قول النبي ﷺ: (فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه) فيقال : إن هذا خلاف مايدل عليه الحديث، فإنه شبه تكفير الأطفال بجدع البهائم تشبيها للتغيير بالتغيير.

وأيضا: فإنه ذكر الحديث لما قتلوا أولاد المشركين، ونهاهم عن قتلهم، وقال: (أليس خياركم أولاد المشركين ؟ كل مولود يولد على الفطرة) فلو أراد أنه تابع لأبويه في الدنيا لكان هذا حجة لهم يقولون: هم كفار كآبائهم فنقتلهم.

وكون الصغير يتبع أباه في أحكام الدنيا، هو لضرورة حياته في الدنيا، فإنه لا بد من مرب يربيه، وإنما يربيه أبواه، فكان تابعا لهما ضرورة.

فَعُلِمَ أن المراد بالحديث أن الأبوين يُلَقِّنَانِهِ الكفر ويُعَلِّمَانِهِ إياه وذكر ﷺ الأبوين ؛ لأنهما الأصل العام الغالب في تربية الأطفال، فإن كل طفل غُيِّر فلا بد له من أبوين، وهما اللذان يربيانه مع بقائهما وقدرتهما، بخلاف ما إذا ماتا أو عجزا لسبي الولد عنهما أو غير ذلك.

قال ابن عبد البر بعدما حكى هذا القول والرد عليه : " وقول إسحاق في هذا الباب لا يرضاه الحذاق الفقهة من أهل السنة وإنما هو قول المجبرة وفيما مضى كفاية والحمد لله " (٧٨) .

المطلب الخامس: الإقرار بالربوبية.

أولاً : مفادُهُ : أن معنى الفطرة هو ما أخذ الله تبارك وتعالى من الميثاق على ذرية بني آدم حين خاطبهم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى ﴾ ، فاقروا له جميعا بالربوبية عن معرفة منهم وإقرار، ثم إن الله تعالى أخرج الذراري من أصلاب الأباء مطبوعين على تلك المعرفة وذلك الإقرار.

ومما ينبغي التأكيد عليه أن تلك المعرفة ليست بإيمان، ولا ذلك الإقرار بإيمان، ولكنه إقرار من الطبيعة للرب، فطرة ألزمها قلوبهم، ثم أرسل إليهم الرسل ، فدعوهم إلى الاعتراف له بالربوبية والخضوع تصديقا بما جاءت به الرسل، فمنهم من أنكر وجحد بعد المعرفة وهو به عارف ؛ لأنه لم يكن الله ليدعو خلقه إلى الإيمان به وهو لم يعرفهم نفسه، إذ كان يكون حينئذ قد كلفهم الإيمان بما لا يعرفون .

وتصديق ذلك قوله عز وجل ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾(٧٩) (٨٠).

والمراد تمكن الناس من الهدى في أصل الجبلة، والتهيؤ لقبول الدين، فلو ترك المرء عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها، لأن حسن هذا الدين ثابت في النفوس، وإنما يعدل عنه لآفة من الآفات البشرية؛ كالتقليد.(٨١)

ثانياً : قائلُهُ ابن قتيبة[٨٢] في كتابه تأويل مختلف الحديث [٨٣] .

ثالثاً : مناقشتُهُ :

المتأمل في هذا القول يرى أن هذا هو عين القول الأول الذي فسر الفطرة بالإسلام ؛ إذ لا يُقصَد بالإيمان الفطري إلا التهيؤ والاستعداد للكمالات ، وقد ذكره ابن عبد البر في كتابه التمهيد قولا منفصلا عمن ذهب إلى أن الفطرة بمعنى الإسلام وذلك أنه فسرها بالإسلام الشرعي لا الإسلام الفطري وقد مر معنا تفصيل القول في ذلك فاعْتَبَرَ هذا قولا منفصلا بناءًا على تعدد الصيغ والعبارات المنقولة عن العلماء ، ولكن حقيقته أنه قولا واحدا.

المطلب السادس :قول محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة رحمهما الله تعالى .

وذلك عندما سأله أبو عبيد عن معنى الحديث فقال : " كان هذا القول من النبي عليه السلام قبل أن يؤمر الناس بالجهاد " . [٨٤]

وقد استغرب بعض العلماء هذا الجواب من الإمام الشيباني، فقال ابن عبد البر: " وأما ما ذكره عن محمد بن الحسن فأظن محمد بن الحسن حاد عن الجواب فيه، إما لإشكاله عليه، أو لجهله به، أو لكراهية الخوض في ذلك " [٨٥].

وذلك ؛ لأنه في بعض روايات الحديث ما يبين أن سبب ورود الحديث ما كان من أناس من بعض أصحاب رسول الله ﷺ وهم في قتالهم المشركين قتلوا الصغار فقال رسول الله ﷺ(ما بال قوم بالغوا في القتل حتى قتلوا الولدان؟!) فقال رجل: أو ليس إنما هم أولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ:(أو ليس خياركم أولاد المشركين؟ إنه ليس من مولود إلا وهو يولد على الفطرة، فيعبر عنه لسانه ويهوده أبواه أو ينصرانه)[٨٦]

فهذا نص في أن الحديث كان بعد الأمر بالجهاد، وكذلك يشهد له الحديث الآخر:(كل مولود يولد على الفطرة، فناداه الناس يا رسول الله وأولاد المشركين؟ قال وأولاد المشركين)[٨٧] .

وتحقيق قول الامام الشيباني في أطفال المشركين ما نقله المحقق ابن عابدين[٨٨] رحمه الله في حاشيته المشهورة ما نص : " وقد اختلف في سؤال أطفال المشركين وفي دخولهم الجنة أو النار، فتردد فيهم أبو حنيفة وغيره ، وقد وردتْ فيهم أخبار متعارضة فالسبيلُ تفويضُ أمرهم إلى الله تعالى. وقال محمد بن الحسن: إعْلَمْ أن اللهَ لا يُعَذِّبُ أحدًا بلا ذنبٍ " انتهى . أي والحال أن أولاد المشركين لا ذنب لهم ، فعلى أقل التقادير أنهم ليسوا من أهل النار ، وقد صرَّح بتوقفه غير واحدٍ من المحققين ، كالإمام الزيلعي[٨٩] حيث بين توقف محمد ابن الحسن في أطفال المشركين ، ونصه : " «وقيل لرسول الله ﷺ أرأيت من يموت منهم قال الله أعلم بما كانوا عاملين» فيكون حجة لأبي حنيفة ومحمد في توقفهما في أطفال المشركين فإذا تبعهما يجبر على الإسلام كما يجبران عليه ولا يقتل تبعا لأبيه لأنه كافر أصلي وليس بمرتد حقيقةً " . [٩٠]

ويظهر أن محمد بن الحسن لا يخرج عن التوجه القائل بالسلامة والتهيؤ والاستعداد ، والله أعلم.

المطلب السابع : التوقف وتفويض أمر الفطرة إليه تعالى .

أولاً : القائل به عبد الله بن المبارك . [٩١]

حيث قال : يفسره آخر الحديث (الله أعلم بما كانوا عاملين)

هكذا ذكره أبو عبيد([٩٢]) في كتابه(غريب الحديث) في تفسيره لحديث(كل مولود...).

فأما ما ذكره عن ابن المبارك فقد روي عن مالك نحو ذلك، وليس فيه مقنع من التأويل، ولا شرح مُسْتَوعِب في أمر الأطفال، ولكنها جملة تؤدي إلى الوقوف عن القطع فيهم بكفر أو إيمان، أو جنة أو نار، ما لم يبلغوا [٩٣].

قال ابن تيمية : (أما ما ذكره عن ابن المبارك و مالك فيمكن أن يقال: إن المقصود أن آخر الحديث يبين أن الأولاد قد سبق في علم الله ما يعملون إذا بلغوا وأن منهم من يؤمن فيدخل الجنة ومنهم من يكفر فيدخل النار فلا يحتج بقوله: (كل مولود يولد على الفطرة) على نفي القدر كما احتجت به القدرية ولا على أن أطفال الكفار كلهم في الجنة لكونهم ولدوا على الفطرة، فيكون مقصود الأئمة أن يستقر الأطفال على ما في آخر الحديث)[٩٤].

فهذه الأقوال التي ذكرها العلماء في معنى الفطرة ، وقد تم بيانُها ومناقشتُها .

وهناك قولٌ أخير في معاني الفطرة ذكر ابن عبد البر لم أُدْرِجْهُ ضمن الأقوال المتقدمة ؛ والسبب أنه يقوم هذا القول على أن الأدوار الحياتية التي يمر بها الإنسان وما يصحبها من إيمان أو كفر كل ذلك عندهم فطرة فأشبه مايكون أنهم يفسرون الفطرة بالقدر المكتوب السابق لخلق الإنسان، ويستدلون على قولهم هذا بحديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال:(ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات، فمنهم من يولد مؤمنا ويحيى مؤمنا ويموت مؤمنا، ومنهم من يولد كافرا ويحيى كافرا ويموت كافرا، ومنهم من يولد مؤمنا ويحيى مؤمنا ويموت كافرا، ومنهم من يولد كافرا ويحيى كافرا ويموت مؤمنا)[٩٥].

والفطرة عند هؤلاء: ما قضاه الله وقدره لعباده من أول أحوالهم إلى آخرها، كل ذلك عندهم فطرة، وسواء كانت عندهم حالا واحدة لا تنتقل، أو حالا بعد حال، كقوله عز وجل﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ ﴾[٩٦] أي : حالا بعد حال، على ما سبق لهم في علم الله ، وهذا القول وإن كان صحيحا في الأصل، لكنه أضعف الأقاويل من جهة اللغة في معنى الفطرة، ولهذا السبب لم أذكرُه ، والله أعلم .

فهذا ما انتهى إلينا عن العلماء أهل الفقه والأثر، وهم الجماعة، في تأويل حديث رسول الله ﷺ (كل مولود يولد على الفطرة)[٩٧] .

وبهذا نحن أيضا قد انتهينا من ذكر الأقوال في الفطرة. ويحسن في نهاية هذا المبحث أن نعطي تحقيق المسألة من هذه الأقوال ، وهي كما ذكره الإمام السبكي رحمه الله في فتاواه ، ونصُهُ هناك : " أن المراد بالفطرة الطبع السليم المُهَيَّأ لقبول الدين ؛ وذلك من باب إطلاق القابل على المقبول ، فإن الفطرة هي الخلقة يقال فطره أي خلقه وخلقة الآدمي فردٌ من ذلك وتهيأ لقبول الدين وصف لها فهذه ثلاث مراتب وذلك المقبول وهو الدين أمرٌ رابعٌ فاسم الفطرة أطلق عليه فكأنه قال كل مولود يولد مسلما بالقوة ؛ لأن الدين وهو الإسلام حقٌ مجاذبٌ للعقل غير ناء عنه"(٩٨) .

وكما نلاحظ ، فقد ذكر هاهنا تحقيقا مهماً ودقيقاً ، فإنه يُفرِّق بين الإسلام الذي تتبني عليه الأحكام ، وبين الإسلام الذي يكون به الإنسانُ " مسلما بالقوة " كما حققه رحمه الله .

ومعنى كون الإنسان بالقوة أنه في حالةٍ من التهيؤ والاستعداد لقبول المعارف الربانية والاستسلام لله والانقياد لأوامره واجتناب نواهيه أي من شأنه ذلك كما عللله بقوله : " لأن الدين وهو الإسلام حقٌ مجاذبٌ للعقل غير ناء عنه " (٩٩) .

وسر هذا التجاذب هو أن التفكير الإنساني إذا سَلِمَ من آفات التفكير وسار في تحصيل المعارف على قواعد الكسب في التفكير والنظر العقلي لم يجد مُعَانَدَةً ولا تباعدًا ولا تناقضًا ولا أيَّ شيء يحول بين نتائج النظر العقلي وحاجة الإنسان الى التدين ؛ فإن العقل السليم الناظر في شؤون الحوادث يشهد بعجز البشرية عن درك أعشار معشار ما في هذا الكون أن يكون من صنع بشرٍ أو وجد بنفسه أو غير ذلك .

وهو بهذا التوجيه لمعنى الفطرة كأَنَّه قولٌ آخر غير ما تقدم ؛ إذ هو يجمع بين القول الأول (الاسلام الفطري) وبين الثالث (الخلقة) ؛ لكن الفرق بينه وبين القول الأول والثالث أن تلك الأقوال عبرت عن المراد بنصوص مجملة وغير مفصلة ،ونجد أن كلام السبكي جامعاً بينهما ،فهو يقول : " فإن الفطرة هي الخلقة يقال فطره أي خلقه ، وخلقة الآدمي فردٌ من ذلك وتهيأ لقبول الدين وصف لها فهذه ثلاث مراتب "(١٠٠) إهـ .

فهو يشير إلى :

١- مرتبة الفعل الإلهي وهو خلقه وإيجاده .
٢- مرتبة المُوجَدِ وهو المخلوق ، ومنها خلقة الآدمي فهي فرد من المخلوقات .
٣- مرتبة التهيُّأ والاستعداد لتقبل ما يمليه الرب جل وعلا ، الأمر الذي يكون وصفا لتلك الخلقة وكأَنَّه لا وصف حينئذٍ سواه .

وبعد أن ذكر المراتب الثلاثة التي هي (الخلق – والمخلوق – والتهيُّأ) فقد ذكر الرابع بقوله : " وذلك المقبول وهو الدين أمر رابع ، فاسم الفطرة أطلق عليه" (١٠١) اهـ . فهو بهذه الحال جعل

الفطرة هي الإسلام الفطري ميلاً للقول الأول ، وجعلها كالنتيجة لمراتب مهمة مُفَسِّرًا لها بالخلقة كما هو القول الثالث ، فكأنَّه أخذ من كليهما قولاً آخر أراد به تحقيق المسألة ، وهو الحري بالقبول الذي يميل القلب إليه وينسجم مع النصوص والقرائن العقلية ، والله أعلم .

الخاتمة

١- الفطرة هي التهيؤ والاستعداد لتقبل أشرف المعارف الإيمان بالله ﷻ ، و لا يخفى أن الإيمان باللهﷻ أولى المعارف التي تنسجم مع ذلك التهيؤ .

وهذا التهيؤ هو ما نسميه بـ(الإسلام الفطري) أو (الإسلام بالقوة) ، فإن الناس مفطورون على حالة من السلامة بحيث لو بقوا على ذلك التهيؤ وتلك الحالة بلا حلول ما يعارض الإسلام من الكفروالمعتقدات الفاسدة ، فإن مئآلهم مسلمون لامحالة ؛ نظرًا لأرواحهم وقلوبهم يولدون حنفاء على فطرة الإسلام، بحيث لو تركوا وفطرتهم لكانوا حنفاء مسلمين ..نظير أجسادهم أي كما ولدوا أصحاء كاملي الخلقة بحيث لو تركوا وخلتقهم لم يكن فيهم مجدوع ولا مشقوق الأذن .

٢- ومن خلال البحث نلمس أن النبي ﷺ لم يذكر لذلك شرطا مقتضيا للسلامة والاتصاف بالإسلام غير الفطرة .. وبالمقابل نجده جعل خلاف مقتضاها من فعل الأبوين.

٣- بحث الفطرة ضرب لنا أروع الأمثلة في قوة نظر العلماء وشدة حرصهم ؛ لما يترتب على معناها من أمور عقدية كما زلت أقدام القدرية ، واتضح لنا ذلك في البحث .

٤- هذا البحث فتح لنا آفاق لمناقشة مسالة فرعية فقهية كمسالة (أطفال المشركين) ، ومن خلاله عرفنا أن المسألة بحاجة إلى بحث وتنقيب في ثنايا الكتب الفقهية التي هي مورد كل راغب للإنتهال من هذا العلم الشريف.

٥- الفطرة جزئية حرية بالبحث والنظر ، فإن الإمعان في ثناياها وما ترتب على ذلك من أقوال فوائد عظيمة فإن آفاق البحث كثيرة منها النظر في الغائية عند أهل السنة ومثار كون الإنسان مسيرًا أم مخيراً وغير ذلك من الأبحاث المنيفة الحَرية بالاهتمام ، والتي كُتِبَ فيها سلفاً أبحاثاً ورسائل عديدة ، ولكن الباب فيها مازال مفتوحاً ، ونصيحتي للباحثين أن يجعلوا من مثارات وآفاق هذا البحث باب لإعادة النظر مرات وكرات ، فإن الخير في هذا الأمة وفي رجالها لا ينقطع ، والله الموفق ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

الهوامش

(١) سورة الأعراف، الآية :١٧٢ .

(٢) يُنظَر: إحياء علوم الدين ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) ، مط : دار المعرفة – بيروت ، (١٠٦/١).

والغزالي (٤٥٠ – ٥٠٥ هـ) هو محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي بتشديد الزاي. نسبته إلى الغزال (بالتشديد) على طريقة أهل خوارزم وجرجان: ينسبون إلى العطار عطاري، وإلى القصار قصاري، وكان أبوه غزالا، أو هو بتخفيف الزاي نسبة إلى (غزاله) قرية من قرى طوس. فقيه شافعي أصولي، متكلم، متصوف. رحل إلى بغداد، فالحجاز، فالشام، فمصر وعاد إلى طوس. من مصنفاته: ((البسيط)) ؛ و ((الوسيط)) ؛ و ((الوجيز)) ؛ و((الخلاصة)) وكلها في الفقه؛ و ((تهافت الفلاسفة)) ؛ و ((إحياء علوم الدين)) . يُظَر : طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ) ، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د.عبد الفتاح محمد الحلو ، مط : هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ،(١٠١/٤–١٨٠) ؛ والوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، مط: دار إحياء التراث – بيروت ، عام النشر:١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م،(٢٧٧/١) .؛ والأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) ، مط : دار العلم للملايين ، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م ،(٢٤٧/٧) .

(٣) سورة الأنعام ، من الآية :١٤ .

(٤) لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ، مط : دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ، (٥/ ٥٦) ، فصل الفاء ، مادة : (فطر).

(٥) يُنظَر : تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) ، تحقيق: مجموعة من المحققين ، مط : دار الهداية، (٣٢٩/١٣) ، مادة : (ف ط ر).

(٦) وإنما قلتُ : " اصطلاح أهل الشريعة " ، ولم أخصص بكونهم علماءَ تفسيرٍ او علماءَ كلامٍ أو علماءَ حديثٍ ؛ لأن مباحث الفطرة له جهات من النظر وقنوات من البحث ، فأهل العقيدة يُنظَرون إليها من جهة ما يترتب على مفهومها من آثار عند من يُسيءُ فَهْم كون معنى " الفطرة " الإسلام كما أوضحته في مذهب القدرية ، وأهل التفسير يُنظَرون إليها من جهة كونها وردت في نص القرآن ، وهم معنيون بتحرير مراده تعالى من تلك النصوص المباركات ، وأهل الحديث يُنظَرون إليها أنها مفردة وردة ضمن حديثٍ معينٍ وهم معنيون بدراسته متنا وسنداً ، وهكذا كلّ يحن إلى ليلاه ، ولما كان شأنُ الفطرة آخذاً أُفقاً واسعاً وباتجاهات مختلفة قلت : " اصطلاح علماء الشريعة " ؛ ليشمل الكل .

(٧) سورة الروم، آية:٣٠.

(٨) الحديث رواه البخاري في صحيحه/ كتاب الجنائز/ باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام / رقم: ١٣٥٨،(٢/ ٩٤)؛ ومسلم/ كتاب القدر/ باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين/رقم: ٢٦٥٨،(٤/ ٢٠٤٧) ، واللفظ له .

(٩) الحديث رواه البخاري في صحيحه/ كتاب الجنائز/ باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام / رقم: ١٣٥٨،(٢/ ٩٤)؛ ومسلم/ كتاب القدر/ باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين/رقم: ٢٦٥٨،(٤/ ٢٠٤٧) ، واللفظ له .

(١٠) أخرجه الحميدي في مسنده في باب جامع أبي هريرة ٢٦٧/٢ رقم : ١١٤٥ . مسند الحميدي ، أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي (المتوفى: ٢١٩هـ) ، حقق نصوصه وخرج أحاديثه: حسن سليم أسد الدَّارَانِيّ ، مط : دار السقا، دمشق – سوريا ، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦م .

(١١) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه في كتاب الجهاد / بب البيات ٢٠٢/٥ ، رقم : ٩٣٨٦ . المصنف ، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ) ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، مط : المجلس العلمي- الهند ، و المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣م .

(١٢) رواه احمد في مسند المكثرين من الصحابة / مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، ١١٣/٢٣ برقم : ١٤٨٠٥ . مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون ، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مط : مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م .

(١٣) التمهيد(٦٦/١٨).

(١٤) يُنظَر: تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى:٣١٠هـ) ، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة ، مط : دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م ، (١٨٢/١٠) ؛ وتفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، مط : دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، (٥٧٢/٣).

(١٥) التمهيد لابن عبد البر(٧٥/١٨)

(١٦) رواه الطبراني في المعجم الكبير / عياض بن حمار المجاشعي سكن البصرة / نسبته / رقم : ٩٩٧ . المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مط : مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، الطبعة ، (٣٦٣/١٧).

(١٧) أخرجه النسائي / كتاب الزينة / ذكر الفطرة / رقم : ٥٢٢٥ . المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي) ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، مط : مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م، (١٨١/٨) ؛ والإمام أحمد في المسند، (٢٢٩/٢) بهذا اللفظ، وهو في الصحيحين بلفظ (الفطرة خمس أو خمس من الفطرة) البخاري (٢٢٠٩/٥) ؛ ومسلم (٢٢١/١).

(١٨) يُنظَر: التمهيد ، (٧٥/١٨).

(١٩) فتح الباري ، (٣٣٩/١٠).

(٢٠) وهو ما ورد عن عكرمة، ومجاهد، والحسن، وإبراهيم، والضحاك، وقتادة، وابن شهاب الزهري، وغيرهم. وقد اخرج هذه الآثار ابن جرير في تفسيره، وزاد عليها روايات أخرى (١٨٢/١٠).

(٢١) راعي الإبل وهو: عبيد بن حصين بن جندل بن قطن بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نمير. سمي راعي الإبل لكثرة صنعته بها، وحسن نعته، قالوا: ما هو إلا راعي، فلزمته. يُنظَر تاريخ بغداد (١٨٥/٣٨).

(٢٢) هكذا أورده ابن عبد البر في التمهيد(٧٦/١٨)، وفي كتابه الآخر الاستذكار، تحقيق : سالم محمد عطا ، محمد علي معوض ، مط : دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، سنة ١٤٢١هـ –٢٠٠٠م،(١٠٤/٣)، ولم أجده في أي كتاب آخر.

(٢٣) يُنظَر: التمهيد (٧٥/١٨ – ٧٦).

(٢٤) يُنظَر: التمهيد (١٨ / ٧٧).

(٢٥) هو: محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد الفرا القاضي أبو يعلى، وكان إماما في الفقه، له التصانيف الحسان الكثيرة في مذهب أحمد، ودرس وأفتى سنين، وانتهت إليه رياسة المذهب، وانتشرت تصانيفه وأصحابه، وجمع الإمامة والفقه، والصدق وحسن الخلق والتعبد والتقشف والخشوع وحسن السمت والصمت.توفي سنة ٨٥٤هـ. يُنظَر : تاريخ دمشق ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ) ، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي ، مط : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، سنة : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م ، (٣٥٦/٥٢)؛ والبداية والنهاية (٩٤/١٢).

(٢٦) سورة الإسراء، آية: ١٥.

(٢٧) هو: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي البغوي الإمام الحافظ الفقيه المجتهد محيي السنة، صاحب معالم التنزيل، وشرح السنة، والتهذيب، والمصابيح، وغير ذلك، كان عن العلماء الربانيين كان ذا تعبد ونسك وقناعة باليسير. توفي سنة٥١٦هـ. يُنظَر تذكرة الحفاظ (١٢٥٧/٤) ؛ والبداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ،تحقيق: علي شيري ، مط : دار إحياء التراث العربي ، الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ – ١٩٨٨م، (١٩٣/١٢) .

(٢٨) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) ، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ) ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي / مط : دار إحياء التراث العربي –بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ، (٢٦٩/١) .

(٢٩) يُنظَر: فتح الباري ، (٢٥٠/٣).

(٣٠) وتمامه عن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول اللهﷺ : «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، كما تنتجون البهيمة، هل تجدون فيها من جدعاء، حتى تكونوا أنتم تجدعونها؟» قالوا: يا رسول الله: أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين» . رواه البخاري في صحيحه / كتاب القدر/ باب: الله أعلم بما كانوا عاملين/ رقم : ٦٥٩٩ ، (٨/ ١٢٣).

(٣١) يُنظَر : فتح الباري (٢٤٧/٣).

(٣٢) هو أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري، كان أحد الفقهاء على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، إمام لكنه ذو أوهام. قال ابن حجر العسقلاني: ومع قلة إتقان ابن بطة في الرواية كان إماما في السنة، إماما في الفقه، صاحب أحوال وإجابة دعوة، ﷺ . توفي سنة ٣٨٧ هـ. يُنظَر : لسان الميزان للحافظ

ابن حجر العسقلاني ، تحقيق دائرة المعارف النظامية . الهند، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/بيروت، ط٣، سنة ١٤٠٦هـ، (١١٣/٤)؛ و تاريخ بغداد ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) ، تحقيق : الدكتور بشار عواد معروف ، مط : دار الغرب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م ، (٣٧١/١٠– ٣٧٣) .

(٣٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ، لأبي عبد الله، عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي ، تحقيق د. عثمان عبد الله الأثيوبي، مط : الراية – الرياض. ط٢ ، سنة ١٤١٨ هـ ، (٧٥/٢) .

(٣٤) يُنظَر : درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٧٨) .

(٣٥) نفس المصدر (٣٧٩/٨) .

(٣٦) ينظر : الجامع لاحكام القرآن ٣٠/١٤ .

(٣٧) وهو: أبو حمزة محمد بن كعب القرظي التابعي المشهور الكوفي المولد والمنشأ، ثم المدني حليف الأنصار، له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة، وكان عالما بتفسير القرآن، صالحا عابدا كبير القدر، موصوفا بالعلم والورع والصلاح قيل توفي سنة١٠٨هـ. يُنظَر : البداية والنهاية (٢٥٧/٩) ؛ والعبر في خبر من غبر ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) ، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، مط : دار الكتب العلمية – بيروت ، (٢٤/١).

(٣٨) سورة الأعراف ، من الآية: ٢٩ ومن الآية : ٣٠ .

(٣٩) يُنظَر : الاستذكار ، (١٠٥/٣).

(٤٠) الحديث رواه مسلم في كتاب القدر/باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين / رقم :٢٦٦٢، (٢٠٥٠/٤) برقم:٢٦٦٢.

(٤١) الحديث رواه الترمذي (٤٤٩/٤)، والنسائي (٤٢٥/٦).

(٤٢) يُنظَر: التمهيد ، (٧٩/١٨) ؛ وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ) ، مط : دار الكتب العلمية – بيروت ، (٦/ ٢٩٣) .

(٤٣) يُنظَر : تفسير ابن كثير ، (٤٠٣/٣) .

(٤٤) عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه سعد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى رهطا وسعد جالس فيهم، قال سعد: فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من لم يعطه، وهو أعجبهم إلي، فقلت: يا رسول الله، ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أو مسلما»، قال: فسكت قليلا ثم غلبني ما أعلم منه، فقلت: يا رسول الله، ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أو مسلما»، قال: فسكت قليلا ثم غلبني ما علمت منه، فقلت: يا رسول الله، ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أو مسلما، إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه، خشية أن يكب في النار على وجهه» .رواه مسلم / كتاب الإيمان / باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه، والنهي عن القطع بالإيمان من غير دليل قاطع / رقم : ٢٣٧ ، (١٣٢/١) .

(٤٥) رواه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه / كتاب الجنائز/ بَابُ مَا قِيلَ فِي أَوْلَادِ الْمُسْلِمِينَ / رقم : ١٣٨١ ، (١٠٠/٢) .

(٤٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) ، مط : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ ، (٢٠٧/١٦) .

(٤٧) يُنظَر : طرح التثريب ، (٢٢٥/٧) .

(٤٨) سورة النحل ، الآية: ٧٨.

(٤٩) يُنظَر : طرح التثريب ، (٢٢٥/٧) .

(٥٠) سورة فاطر، الآية: ١.

(٥١) سورة ياسين ، الآية: ٢٢ .

(٥٢) تقدم تخريج الحديث .

(٥٣) يُنظَر فتح الباري ، (٢٥٠/٣).

(٥٤) سورة النحل ، الآية: ٧٨.

(٥٥) تفسير القرطبي ، (٢٤/١٤).

(٥٦) التمهيد ، (٧٠/١٨ – ٧١) .

(٥٧) الغزالي (٤٥٠ – ٥٠٥ هـ) هو محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي بتشديد الزاي. نسبته إلى الغزال (بالتشديد) على طريقة أهل خوارزم وجرجان: ينسبون إلى العطار عطاري، وإلى القصار قصاري، وكان أبوه غزالا، أو هو بتخفيف الزاي نسبة إلى (غزاله) قرية من قرى طوس. فقيه شافعي أصولي، متكلم، متصوف. رحل إلى بغداد، فالحجاز، فالشام، فمصر وعاد إلى طوس.من مصنفاته: ((البسيط)) ؛ و ((الوسيط)) ؛ و ((الوجيز)) ؛ و ((الخلاصة)) وكلها في الفقه؛ و ((تهافت الفلاسفة)) ؛ و ((إحياء علوم الدين)) .يُنظَر : طبقات الشافعية ، (١٠١/٤–١٨٠) ؛ والأعلام للزركلي ، (٢٤٧/٧) .

(٥٨) إحياء علوم الدين ،(٢٧/٣).

(٥٩) الزبيدي (١١٤٥هـ – ١٢٠٥هـ) هو محمد بن محمد، أبو الفيض، الحسيني الزبيدي الملقب " بمرتضى " لغوي، نحوي، محدث، أصولي، مؤرخ، مشارك في عدة علوم. أصله من واسط (في العراق) ومولده بالهند (في بلجرام) ، ومنشؤه في زبيد باليمن. من تصانيفه: " تاج العروس في شرح القاموس "، وإتحاف السادة المتقين، شرح إحياء علوم الدين، و " أسانيد الكتب الستة "، و " عقود الجواهر المنيفة في أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة ". يُنظَر : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ) ، مط : طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١ ، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت –لبنان ، (٣٤٧/٢) ؛ ومعجم المؤلفين ، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ) ، مط : مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت ،(٢٨٢/١١) ؛ والأعلام ،(٢٩٧/٧) .

(٦٠) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، محمد بن محمد بن الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى ، مط : مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، الطبعة: ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م ، (٢٣١/٧) .

(٦١) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٤٤).

(٦٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل لابن قيم الجوزية (٨١٦/٢) .

(٦٣) درء تعارض العقل والنقل (٨ /٤٤٥).

(٦٤) ابن راهويه (١٦١–٢٣٨ هـ = ٧٧٨–٨٥٣ م) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي التميمي المروزي، أبو يعقوب بن راهويه: عالم خراسان في عصره. من سكان مرو (قاعدة خراسان) وهو أحد كبار الحفاظ. طاف البلاد لجمع الحديث وأخذ عنه الإمام أحمد ابن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم. وقيل في سبب تلقيبه (ابن راهويه) أن أباه ولد في طريق مكة فقال أهل مرو: راهويه! أي ولد في الطريق. وكان إسحاق ثقة في الحديث، قال الدرامي: ساد إسحاق أهل المشرق والمغرب بصدقة. وقال فيه الخطيب البغدادي: اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد، ورحل إلى العراق والحجاز والشام واليمن. وله تصانيف، منها (المسند) ، استوطن نيسابور وتوفي بها . يُنظَر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ) ، تحقيق: إحسان عباس ، مط : دار صادر – بيروت (١٩٩/١)؛ وتهذيب التهذيب ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى:٨٥٢هـ) ، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند ، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ ، (٢١٦/١)؛ والأعلام ، (٢٩٢/١) .

(٦٥) سورة آل عمران، الآية: ٨٣ .

(٦٦) طرح التثريب ، (٢٢٧/٧) .

(٦٧) المصدر نفسه .

(٦٨) تقدم تخريجه .

(٦٩) سورة الكهف، الآية: ٧٤.

(٧٠) يُنظَر : التمهيد ، (٨٣/١٨– ٨٨)

(٧١) سورة آل عمران، الآية: ٨٣ .

(٧٢) تفسير ابن جرير الطبري ، (٣٣٤/٣).

(٧٣) سورة النساء ، من الآية :١١٩.

(٧٤) وهو من أسماء الجبرية: وهم إحدى الفرق الإسلامية الباطلة والذين يقولون ليس للعبد قدرة وأن الحركات الإرادية بمثابة الرعدة والرعشة فيقولون بالجبر أي إن العبد مجبور على أفعاله لا فرق بين الحركة الاختيارية والحركة الاضطرارية ، وهم بهذه الحالة خلاف القدرية ، وإن كانوا مثلهم أهل أهواء ، وشيخهم هو الحسين بن محمد النجار البصري، ومذهبهم باطل ؛ لما يترتب عليه من نفي التكليف. يُنظَر: كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) ، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، مط: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ، ط: الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ،(١٠١/١) ؛ وتاج العروس (٢٥٨٢/١) .

(٧٥) التمهيد ، (٩٠/١٨) .

(٧٦) تحفة الأحوذي ، (٤٧٣/٨).

(٧٧) درء تعارض العقل والنقل ، (٨ /٤٢١– ٤٢٨)

(٧٨) التمهيد ، (١٨ / ٨٣– ٩٠)

(٧٩) سورة الزخرف، الآية: ٨٧ .

(٨٠) يُنظَر: التمهيد (٩٢.٩٠/١٨)

(٨١) فتح الباري ، (٢٤٩/٣) .

(٨٢) ابن قتيبة (٢١٣ – ٢٧٦ هـ) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أبو محمد، الدينوري. من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين، عالم مشارك في أنواع من العلوم، كاللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه وغريب الحديث والشعر والفقه والأخبار وأيام الناس وغير ذلك. سكن بغداد وحدث بها وولي قضاء دينور. من تصانيفه: " تأويل مختلف الحديث "، " الإمامة والسياسة "، و " مشكل القرآن "، و " المسائل والأجوبة "، و " والمشتبه من الحديث والقرآن ".يُنظَر : شذرات الذهب ، (١٦٩/٢) ؛ والنجوم الزاهرة،(٧٥/٣) ؛ والأعلام ،(٢٨٠/٤).

(٨٣) يُنظَر : تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة ، تحقيق محمد زهري النجار ، مط : دار الجيل – بيروت، سنة ١٣٩٣هـ ص١٢٩.

(٨٤) الاستذكار ، (١٠٠/٣) .

(٨٥) التمهيد (١٨ / ٦٦ .٦٨)

(٨٦) رواه ابن حبان في صحيحه (١ /٣٤١) ، والطبراني في المعجم الكبير (١ /٢٨٣)

(٨٧) رواه النسائي في الكبرى (٤ /٣٩١) .

(٨٨) ابن عابدين (١١٩٨–١٢٥٢ هـ) هو محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين. دمشقي. كان فقيه الديار الشامية، وإمام الحنفية في عصره. صاحب ((رد المحتار على الدر المختار)) المشهور بحاشية ابن عابدين. خمس مجلدات. وابنه محمد علاء الدين (١٢٤٤–١٣٠٦ هـ) المشهور أيضا بابن عابدين صاحب ((قوة عيون الأخيار)) الذي هو تكملة لحاشية والده السابقة الذكر. من تصانيف ابن عابدين الأب ((العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية))؛و((نسمات الأسحار على شرح المنار)) في الأصول؛ و((حواش على تفسير البيضاوي)) ؛ و ((مجموعة رسائل)) . يُنظَر : الأعلام للزركلي ٢٦٧/٦؛ ومقدمة ((تكملة حاشية ابن عابدين المسماة قرة عيون الأخيار ط عيسى الحلبي ص (٦ – ١١).

(٨٩) الزيلعي هو عثمان بن علي بن محجن، فخر الدين الزيلعي من أهل زيلع بالصومال. فقيه حنفي. قدم القاهرة سنة ٧٠٥ هـ ودرس وأفتى وقرر ونشر الفقه. كان مشهورا بمعرفة النحو والفقه والفرائض. وهو غير الزيلعي صاحب ((نصب الراية)) .من تصانيفه ((تبين الحقائق شرح كنز الدقائق)) في الفقه؛ و ((الشرح على الجامع الكبير)) توفي سنة : ٧٤٣هـ .يُنظَر: الفوائد البهية في تراجم الحنفية ، لأبي الحسنات عبد الحي اللكنوي ، تصحيح وتعليق : محمد بدر الدين أبي فراس النعساني ، مط : دار الكتاب الإسلامي – القاهرة ، ص ١١٥؛ والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) ، تحقيق : محمد عبد المعيد ضان ، مط : مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد/ الهند ، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م ، ٤٤٦/٢ ؛ والأعلام للزركلي ٣٧٣/٤.

(٩٠) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ ، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣ هـ) ، معه حاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ (المتوفى: ١٠٢١ هـ) ، المطبعة الكبرى الأميرية – بولاق، القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٣١٣ هـ ، (٢٩٢/٣).

(٩١) هو: عبد الله بن المبارك بن واضح الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام فخر المجاهدين قدوة الزاهدين أبو عبد الرحمن الحنظلي مولاهم المروزي التركي الأب الخوارزمي الأم التاجر السفار صاحب التصانيف النافعة والرحلات الشاسعة، جمع العلم والفقه والأدب والنحو واللغة والزهد والشجاعة والشعر والفصاحة وقيام الليل والعبادة والحج والغزو والفروسية وترك الكلام فيما لا يعنيه والإنصاف وقلة الخلاف على أصحابه. تذكرة الحفاظ (٢٧٥/١).

(٩٢) أبو عبيد (١٥٧ –٢٢٤هـ) هو القاسم بن سلام. أبو عبيد كان أبوه روميا عبدا لرجل من هراة، أما هو فقد كان إماما في اللغة والفقه والحديث. قال إسحاق بن راهويه: أبو عبيد أعلم مني وأفقه. قال الذهبي: (كان حافظا للحديث وعلله، عارفا بالفقه والاختلاف، رأسا في اللغة، إماما في القراءات له فيها مصنف. ولي قضاء طرسوس. مولده وتعلمه بهراة، ورحل إلى مصر وبغداد وحج فتوفي بمكة. وكان يهدي كتبه إلى عبد الله بن طاهر، فكافأه بما استغنى به)) .من تصانيفه: كتاب ((الأموال))؛ و((الغريب المصنف)) ؛ و ((الناسخ والمنسوخ)) ؛ و ((الأمثال)) .يُنظَر : تهذيب التهذيب ،(٣١٥/٧) .

(٩٣) التمهيد (٦٧/١٨).

(٩٤) درء تعارض العقل والنقل (٣٨٢/٨)

(٩٥) الحديث تقدم تخريجه.

(٩٦) سورة الإنشقاق، آية:١٩.

(٩٧) التمهيد (١٨/ ٩٣ –٩٤) .

(٩٨) فتاوى السبكي ، أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (المتوفى: ٧٥٦هـ) ، مط : دار المعارف ، (٣٦١/٢) .

(٩٩) فتاوى السبكي، (٣٦١/٢) .

(١٠٠) المصدر نفسه .

(١٠١) المصدر نفسه .